اسرار العباد واخفى هو سر من عباده فلا يعلم احد سره وقيل مقصود الاية زجر المكلف عن القبايح ظاهرة كانت
او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر والاخفا على ما فيه ثواب وعقاب فالسر هو الذي يسره المرء
في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفا هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله
لا اله الا هو له الاسما الحسنى تانيث الاحسن والتي فضلت به اسماؤه في الحسن ساير الاسماء لانها على معاني
التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله تعالى وهل اتاك حديث
موسى اي وقد اتاك لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في
تحمل النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاسات الشدايد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى
نارا وذلك ان موسى استاذن شعيبا في الرجوع يريد ان يرجع من مدين الى مصر ليزور والدته واخاه فاذن
له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتا فاخذ على غير طريق ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا يدرى
ليلا تضع ام نهارا فسار في البرية غير عارف بطريقها فالجاه السير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة
مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد لما اراد الله من كرامته فاخذ امراته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري
فارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اي اقيموا اني انست نارا يعني ابصرت نارا
لعلي اتيكم منها بقبس اي شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى اي من يدلني على الطريق
فلما اتاها اي اتى النار راى شجرة خضرا من اعلاها الى اسفلها اطافت بها نار بيضا تتقد باضوا ما يكون فلا ضو
النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة يغير ضو النار قيل كانت الشجرة سمرة خضرا وقيل كانت من العوسج وقيل كانت
من العليق وقيل كانت من العناب روى ذلك عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي راه موسى نارا بل كان
نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو نور الرب سبحانه وتعالى
وقيل هو النار بعينها وهي احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه مسلم قيل ان
موسى اخذ شيا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نات عنه واذا نادى دنت فوقف
متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك نودي يا موسى اني انا ربك قال وهب
نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ادري مكانك
فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك منك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لله
تعالى فايقن به وقيل انه سمعه وقيل انه سمعه بكل اجزايه حتى ان كل جارحة منه كانت اذنا قوله فاخلع
نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قيل كانتا من جلد حمار ميت
ويروى غير مدبوغ وانما امر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه تراب الارض
المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما موسى فالقاهما من ورا الوادي انك بالواد المقدس
اي المطهر طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوى واد مستدير عميق مثل الطوى في استدارته وانا اخترتك
اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلالة كانه قال له لقد جاءك
امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم الصلاة لذكري اي لتذكرني فيها
وقيل لذكري خاصة لا تشوبها بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها
غرضا اخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وتلا قتادة واقم الصلاة لذكري وفي

روايته

رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة
لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها
لكم ذكر ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشي يقولون كتمته سري من نفسي اي اخفيته غاية الاخفا
والله تعالى لا يخفى عليه شي والمعنى في اخفايها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على
حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفا وقت الموت على الانسان لانه اذا عرف وقت موته وانقضا
اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف
وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب عنها
في كل وقت مخافة معاجلة الاجل قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا
يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة والمجي بها من لا يؤمن بها واتبع هواه اي
مراده وخالف امر الله فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى سوال تقرير والحكمة
فيه تنبيهه وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة قال هي عصاي قال كان لها
شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة اتوكؤ عليها اي اعتمد عليها اذا مشيت واذا
عييت وعند الوثبة واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه الغنم ولي فيها
مارب اخرى اي حاجات ومنافع اخرى واراد بالمارب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد
بها الحبل ويستقي بها الماء من البير ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها اذا قعد وروي
عن ابن عباس ان موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض
فيخرج له ما ياكل يومه ويركزها فيخرج الما فاذا رفعها ذهب الما وكان اذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصن
تلك الشجرة واورقت واثمرت واذا اراد الاستقا من البير ادلاها فطالت على طول البير وصار شعبتاها كالدلو حتى
يستقي وكانت تضي بالليل كالسراج واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى
اي انبذها واطرحها قال وهب ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي فطرحها على وجه الارض ثم
حانت منه نظرة فاذا هي حية صفرا من اعظم ما يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها
وقال في موضع اخر كانها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع اخر كانها ثعبان وهو
اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى فالجان عبارة عن
ابتدا حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتها
حالها وقيل انها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية
من اعظم ما يكون صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها تتقدان
كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها
ويسمع لاسنانها صريفا عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحيا منه ثم نودي
يا موسى اقبل وارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه
لما عرف ما لقي ادم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ طمانينة نفسه وذهب الخوف عنه حتى ادخل
يده في فمها واخذ بلحيتها سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها فردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى
مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فامره الله ان يكشف
يده فكشفها وذكر بعضهم انه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك ارايت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة عنك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)